



خاطب مبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا، ستيفان دي ميستورا، السوريين، عشية انعقاد جنيف 3، قائلاً: "نعول عليكم لرفع صوتكم، لتقولوا لجميع من يحضر المؤتمر إن هناك توقعات منهم". وكان ينقص دي ميستورا القول: ارفعوا أصواتكم من تحت الأنفاس، أو من تحت أمواج البحر الهادرة. فحسب السيد المبعوث، فإن السوريين الضحايا مدعون للإسهام في إنجاج المؤتمر، بدل أن يكون المؤتمر مدعواً لأن ينجح في وقف الفظاعات ضد ملايين السوريين داخل وطنهم وخارجهم.

مع ذلك، حسناً أن الرجل تذكرَ السوريين، وخطابهم بنبرةٍ تشي بالاحترام والتعاطف معهم، بعد أن كاد العالم ينسى الضحايا المدنيين، فيقترن الحديث عن السوريين فقط بالأعباء والمتابعة التي يتسبّبون بها لدول العالم. وأكثر من ذلك، فإن دي ميستورا أثنى على مطالب الهيئة العامة للمعارضة بوضع المطالب المتعلقة بالجانب الإنساني خارج التفاوض، باعتبارها من دبياجة قرار مجلس الأمن 2254 الذي يشكل، إلى جانب جنيف 1 يونيو/حزيران 2012، مرجعاً للمفاوضات. أما الخارجية الأمريكية فيرُوّق لها الوقوع في التناقضات، هذه الأيام، بخصوص الملف السوري، فهي تعتبر مطالب المعارضة مشروعة، وتدعى، في الوقت نفسه، هذه المعارضه للحضور من أجل التفاوض، و"بدون شروط مسبقة" حول إجراءات بناء الثقة، ومنها رفع الحصارات.

أعاد التركيز قبل المفاوضات، وفي مستهلها، على الوضع الإنساني، وتباهي الجانب الأشد شذوذًا في الصراع الدموي القائم، وهو استسهال استهداف المدنيين، وعدم التورّع عن ارتكاب الفظائع ضدهم، وإحکام الحصار وفرض التجويع حتى الموت على آلاف المدنيين المحاصرين، وهو نموذج لهذا الاستهداف المنهجي، الذي بدأ مع الأيام الأولى لموجة الاحتجاجات في مارس/آذار 2011، ولم يتوقف حتى تاريخه.

انتهاء المحنّة السورية منوط بوقف استهداف المدنيين وتجريمه وعوده المشرّدين داخل الوطن إلى بلداتهم وبيوتهم، ورجوع

اللاجئين من المنفى الإجباري. الإرهاب في أبغض صوره وتمظهراته هو الذي تعرض له المدنيون السوريون طوال السنوات التي تقرب من الخمس. وأية مكافحة للإرهاب تقتضي حكماً ووجوباً حماية المدنيين من الوحش الذين يستهدفونهم. نجحت المعارضة في إثارة هذه المسألة الجوهرية قبل أن تبدأ المفاوضات. وفي القناعة أن الهيئة العليا المعارضة سوف تتضمن إلى المفاوضات المفتوحة، وغير المباشرة في مرحلتها الأولى، والتي يتم في أثنائها مخاطبة الوسيط الأممي. وتمتنع مواصلة التركيز على هذه المسألة للتفاوض معناه، باعتباره وسيلةً للرفع من قيمة الحق في الحياة والكرامة لملايين المدنيين السوريين. تجاهل هذا الواقع أو القفز عنه أو الالتفاف عليه، ومواصلة استهداف المدنيين والمرافق المدنية هو الإرهاب عينه. والقصد هو إحياء الاهتمام بالوضع الإنساني، وممارسة ضغوط من خارج دائرة التفاوض على الطرف، الذي يستسخف أبسط حقوق البشر في الطعام والماء والدواء والكهرباء. تشكو الأمم المتحدة بأن 90% من طلباتها لتقديم مساعدات إنسانية قوبلت بالرفض من الحكومة السورية. هل سيحتاج هذا الأمر إلى جهود أميركية وروسية من أجل إجراء مفاوضات بين الأمم المتحدة والحكومة السورية، تبحث سبل تقديم مساعدات إنسانية للسوريين المنكوبين؟!. علاوة على المنظمة الدولية، فإن عشرات من هيئات الإغاثة حيل بينها على مدى السنوات الماضية وواجب مد يد العون للمدنيين، الذين تركوا يواجهون مصيرهم على أيدي قوى غاشمة مسحورة، تعتبر هؤلاء أهدافاً سهلة تحقق عوائد سياسية كبيرة.

للحاجب الإنساني حصة كبيرة في اهتمامات الأمم المتحدة، التي ترعى مفاوضات جنيف السورية الحالية. من واجب هؤلاء الرعاية انتزاع التزاماتٍ من المتفاوضين بعدم استهداف المدنيين، أو حصارهم أو منع الأغذية والأدوية عنهم. وتجريم ذلك، ورفض مقايضة ما هو إنساني بما هو سياسي.. هذا من أجل الانتقال إلى التفاوض حول الوضع السياسي في ظروفٍ ملائمة، وبآمال واقعية. وللأمم المتحدة سجل غني من الخبرات المترافقه في التعامل مع الجانب الإنساني للنزاعات، والمفاوضات الحالية فرصة للأمم المتحدة كي تُشهد العالم على من يسهل ومن يعيق إنقاذ حياة المدنيين السوريين، ومن يضمن سلامتهم ومن يهددهما. روسيا وأميركا الراعيَتان السياسيَتان لجنيف 3 ملزمتان باحترام القانون الدولي الإنساني في سوريا، والكف عن الاستهزاء الفعلي بحقوق الإنسان في هذا البلد، ويتعلق الأمر على الخصوص بتجاوزاتٍ روسيةٍ متكررةٍ وجسيمةٍ، أودت بحياة مئات المدنيين، مما فاقم المحنَة السورية.

الآن، إذا أريد لهذه المحنَة أن توضع على طريق النهاية، فلتتوقف كل أشكال التجاوزات المشينة ضد المدنيين، ولتحمل الجميع مسؤولياتهم الأخلاقية والقانونية إزاء شعبٍ شهد من المرارات والويلات فوق ما هو متصور، وبما يجعل الإمعان في تجاهل محنَة المدنيين من ضروب العنصرية، علمًاً بأنه يستحيل الفصل بين استهداف المدنيين والإرهاب، وبين مكافحة الإرهاب وحماية المدنيين. فالأمران متلازمان ومتكملان، أو هما وجهان لعملة واحدة. وفقًا للتعریف البسيط والجوهرى للإرهاب وحماية المدنيين. وفي المقابل ملائمة ومتلازمان، أو هما وجهان لعملة واحدة. وفقًا للتعریف البسيط والجوهرى للإرهاب وحماية المدنيين. فالإرهاب ليس طفلاً على صراغٍ، هو في الأصل سياسي، ويرمي إلى تحقيق إصلاحات شاملة. وقد ساهم الشحن الطائفي والتنافس العلني على رفع راياتٍ طائفيةٍ بين أصوليين سنة وشيعة، في جعل المدنيين وقوداً لهذا الصراع، علمًاً بأن الغالبية العظمى من المليشيات الطائفية وفدت من خارج الحدود. وقلة قليلة منها خرجت من صفوف المجتمع السوري. وفي المحصلة، فإن أبناء الطوائف جميعاً دفعوا ثمناً باهظاً لهذه الحرب، وهؤلاء، من فيهم اللاجئون، يستحقون الإنقاذ ونزع عوامل الخطر والتتوير والتفسير التي يتعرضون لها. وبدون منح هذا الأمل من بداية المفاوضات، فإنه يصعب أن يتحقق التفاوض مبتغاه، أو أن تثمر الرعاية الأمريكية والروسية ورعاية الأمم المتحدة عن شيء ملموس، يعكس على حياة السوريين. مع التذكير بأن تسويةً جديةً تستند للمرجعية الدولية، سوف تفتح باباً واسعاً لإنهاء مشكلة ملايين اللاجئين السوريين، في دول العالم، والمهم أن لا يسمح العالم باستمرار الاستعراض الأعمى والمقيت للقوة في سوريا من مختلف الأطراف، بما يفتح الباب لهجرات السوريين، ولما لا يحصى من صنوف المأساة.

العربي الجديد

المصادر: